الغواصة الشبح

محمود سالم

الغواصة الشبح

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الغواصة الشبح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٣٠٢٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مطاردة الأشباح!	١١
سر الدلافين المضيئة!	١٧
خطة أسر الدلافين!	٢٣
اتفاق وإنفاق!	٢٩
التمرُّد المريب!	٣٥
نهاية المهمة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مطاردة الأشباح!

انطلقت سيارات الشياطين الـ «١٣» تقطع الطريق إلى مصيف «بلطيم»؛ هذه البقعة الهائلة الرائعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ... حيث يوجد جبل «النرجس».

كان الجو لا يزال ربيعًا، ولم يزدحم المصيف بعدُ بالمصطافين ... بل لم يكن على شاطئ البحر أحد من الأهالي ... فالصيف لم يحِن بعدُ بإجازاته المتعدِّدة.

ولم تكن هذه الرحلة للاستجمام ... بل إنها مهمة عمل كلَّفهم بها رقم «صفر» ... فقد طلب الاجتماع بهم على شاطئ بحر «بلطيم» في فيلا المنظمة ليُكلِّفهم بعملية جديدة.

كانت الثامنة مساءً هي ميعاد عقد الاجتماع ... والساعة الآن الثانية عشر ظهرًا ... فماذا هم فاعلون في هذه الفسحة من الوقت؟ ... بالذات وليس لديهم عمل أو عملية جديدة ينشغلون بها ... فآثروا أن يستبدلوا ملابسهم ويستمتعوا بمياه المتوسط الرائعة ... فقد اشتاقوا للسباحة والتسابق مع الأسماك ... بل والتنافس فيما بينهم ... أي التباري في المكوث تحت الماء ... والفائز هو آخر من يخرج.

وقد أثار رعبَهم «عثمان» جدًّا ... عندما انتظروه كثيرًا ليخرج من تحت الماء فلم يخرج ... فانتشروا يمسحون القاع بحثًا عنه ... ولم يتوقَّفوا إلا عندما رأوه واقفًا على الشاطئ يصيح فيهم قائلًا: هل تبحثون عن شيء؟!

فصاحت فيه «ريما» قائلةً بغيظ: أين كنت أيها الشيطان؟!

وفي برود مثير قال لهم: أنا لم أنزل معكم تحت الماء ...

وكان «أحمد» قد خرج من الماء، فقال يسأله: ماذا حدث يا «عثمان»؟

فارتسمت الجدية على ملامحه وقال هامسًا: الزعيم في الفيلا ...

تقلَّصت عضلات وجه «أحمد» وقال يسأله باهتمام: منذ متى؟

عثمان: منذ نزلتم تحت الماء.

أحمد: وهل طلب رؤيتنا الآن؟

عثمان: ليس الآن ... ولكن عليكم الاستعداد للاجتماع المسائي.

أحمد: لا أفهم ... ماذا تعني بالاستعداد؟

في هذه اللحظة وخزت رسغَ «أحمد» ساعةُ يده ... وكان جسده لا يزال مبتلًّا، فكانت الوخزات مزعجةً للغاية ... فقام بنزعها من يده في حركات متوترة أثارت ضحك «عثمان» ... وضغط بعدها زرًّا أسفل الشاشة، فتلقى مكالمة رقم «صفر» قائلًا: مرحبًا يا زعيم ...

رقم «صفر»: مرحبًا يا «أحمد» ... هل أنت في الماء؟

أحمد: لا يا زعيم أنا على الشاطئ.

رقم «صفر»: لدينا مادة شيقة للحديث.

ابتسم «أحمد» في حماس وقال: عملية جديدة؟

رقم «صفر»: قد تكون كذلك ... ولديَّ ملف أود أن تقرءوه ...

أحمد: أتعود الآن إلى الفيلا؟

رقم «صفر»: ألن تتناولوا غداءكم؟

فهم «أحمد» أن رقم «صفر» يريدهم الآن في الفيلا ... فقال موافِقًا: سنعود يا زعيم ...

كانت مفاجأةً رائعة للشياطين تلك المائدة العامرة بسمك البوري المشوي ... والأرز الأبيض جدًّا كما علَّق عليه «عثمان» ... وكذلك السلاطة الخضراء جدًّا كما قالوا جميعًا، ردًّا على ما قاله.

وكم كان تأثير هذا الغداء الساحلي عليهم مدهشًا أثناء اجتماعهم مع رقم «صفر» الذي بادرهم بقوله: مساء الخير عليكم ... أرى أن رحلتكم اليوم مختلفة ... أليس كذلك؟

تقافزت كلمات «ريما» وهي تعلِّق قائلة: إنه بلد جميل وبسيط للغاية يا زعيم.

رقم «صفر»: لذلك لن نسمح بأن تدور على أرضه خيانة لهذا الشعب العظيم.

سرت همهمة خفيفة بين الشياطين قطعها رقم «صفر» قائلًا: إن رمال جبل «النرجس» تحوَّلت إلى مستودع لِقطع غيار أسلحة ...

أحمد: تخص من يا زعيم؟

رقم «صفر»: تخص عصابةً كبرى لتهريب الأسلحة.

«إلهام»: ولكنك تقول إنها قِطع غيار الأسلحة يا زعيم.

رقم «صفر»: نعم هي كذلك ... إنها طريقة مبتكرة لتهريب الأسلحة ... فهم يُدخلونها مفكَّكةً على مراحل ... وقد يستغرق دخول سلاح واحد عامًا كاملًا.

وفي صدق تساءل «عثمان» قائلًا: سلاح واحد يا زعيم؟

رقم «صفر»: سلاح واحد ولكن بأعداد كبيرة.

أحمد: وكيف سمحت سلطات الموانئ بدخول هذه الأجزاء؟

رقم «صفر»: هناك شركات شحن مملوكة لمستثمرين صغار ... تنقُل بضائع من «مصر» إلى «تركيا» وبعض دول «أوروبا الشرقية»، وتنقل منهم بضائع إلى «مصر».

ريما: وفي رحلة البضائع إلى «مصر» ... يدسون الأسلحة المفكَّكة.

كان الشياطين منتشين من لعبة التفكير وديمقراطية النقاش التي يمارسها معهم رقم «صفر»؛ ممَّا دفع الباقين لإعمال عقولهم ... فقال «مصباح»: وكيف اكتشفتم ما يدور؟

رقم «صفر»: قضية تهريب مخدرات كبرى كانت هي السبب وراء كشف كل ما يدور.

عشرات السيناريوهات دارت في عقول الشياطين قبل أن يقرِّر «قيس» معرفة السيناريو الحقيقي ... فقال لرقم «صفر»: وهل وصلكم بلاغات تهريب شِحنة مخدرات إلى «مصر»؟

رقم «صفر»: لا ... بل عثر رجال حراس الحدود بين الرمال على جثة رجل ميت وبجواره إطار سيارة كاوتشوك، وقد ظنوا أول الأمر أنه كان يستخدمه كعوامة، غير أنهم اكتشفوا أنه مُعبَّأ بمخدر الحشيش.

وبتكثيف التحريات وبكثير من التتبُّع، وصلوا إلى معلومات تفيد بأن عملية تهريب كبرى ستتم على إحدى مراكب شركة الشمس للنقل البحري.

وبمداهمة هذا المركب بعد دخوله مياهنا الإقليمية ... قام البحارة بإلقاء حاويتَين كبيرتَين في الماء، فقامت السلطات بالقبض على طاقم السفينتَين دون مقاومة، وبالاستعانة برجال الضفادع البشرية التابعين لقوات حرس الحدود ... تمَّ فتح الحاويتَين ... وكانت مفاجأةً كبرى لهم عندما لم يجدوا بهما مخدرات.

وهنا صاحت «إلهام» متسائلة: وهل فحصوهما جيدًا؟

رقم «صفر»: لقد تعرَّضوا لأخطار كثيرة حتى وصلوا إلى هذه النتيجة اليقينية.

وبتلقائية شديدة وجدت «ريما» نفسها تقول: ولكنهم وجدوا الأسلحة بدلًا من المخدرات.

رقم «صفر»: لا، بل وجدوا عبوات تحوي مواد كيميائيةً خاصةً بإحدى شركات الصناعات الكيميائية.

وبفحص هذه المواد لم يصلوا إلى أية مخالفات قانونية ... فالمواد آمنة ... ولديهم تصريح باستيرادها ... وأوراقهم سليمة وليس بها ما يُريب ... إلى أن برقت ملاحظة

عبقرية في رأس أحد خبراء الفحص الجنائي ... فقد رأى أن العبوات ثقيلة الوزن إلى حدٍّ مبالغ فيه ... ممَّا يتنافى مع اقتصاديات الشحن، وأن المواد التي تحويها لا تحتاج لعبوات بهذا السُّمك ... فقام بإفراغها من محتوياتها ... وتصويرها تصويرًا ثلاثي الأبعاد ... ثم فحصها إشعاعيًّا، فعرف نوع الخام الداخل في تصنيعها ... وبتغذية الكمبيوتر بكل هذه المعطيات ... حصل على هذه النتيجة المدهشة ...

واستنتج «أحمد» هذه النتيجة التي صرَّح بها قائلًا: وجدوا أن العبوة هي جزء من جسم صاروخ تكتيكي يُطلَق من منصة محمولة ...

ابتسم الزعيم وقد بدا هذا في رده على «أحمد» حينما قال: هذا صحيح ... ومن هنا بدأ البحث الذي استغرق عامًا ... ووصلنا فيه إلى معلومات تُفيد ضلوع صاحب شركة الشحن واثنَين من المستوردين في عملية التهريب ... وهناك آخرون ... نحن في الطريق للوصول إليهم ...

وبرز سؤال مهم وبديهي تكفَّل «أحمد» بطرحه على رقم «صفر» قائلًا: ولماذا لم تقبضوا عليهم حتى الآن ... وهل تركتم ما تمَّ تهريبه من أسلحة يصل إلى أيدي المهربين؟

وكان رقم «صفر» ينتظر هذا السؤال ليكمل ما بدأه معهم فقال: نحن تركناهم حتى نصل بمراقبتهم إلى التشكيل العصابي كله ... أمَّا ما تمَّ تهريبه ... فهي أجزاء ينقصها الرأس المفجِّر ... ولدينا معلومات كافية عن مخابئه، ومنها مخزن جبل «النرجس» هنا ... المطلوب الآن تقسيم العمل بينكم.

قطع رقم «صفر» حديثه لدقائق. سمعوه يتحدَّث خلالها في تليفونه المحمول ... ثم عاد يقول لهم: هذا أحد عملائنا في «إيطاليا» يقول إنه تابع صفقةً تمَّت لصالح إحدى شركات الصناعات الكيميائية في «مصر» ... وأن شركة شحن يونانيةً هي التي ستنقُل هذه الشِّحنة إلى الموانئ المصرية.

أحمد: ما اسم هذه الشركة؟

رقم «صفر»: الشركة المتحدة للكيمياويات.

إلهام: لها سابقة في الشِّحنات المشبوهة؟

رقم «صفر»: نعم ... والمطلوب الآن هو اعتراض هذا المركب في عرض البحر ... لأنه قد يبدِّل هذه الحاويات مع مركب صيد كبير من المراكب التي تُبحر خارج المياه الإقليمية.

أحمد: وهل سنقوم نحن بهذه المهمة؟

رقم «صفر»: نعم ... ولديَّ خطة محكمة. استعدوا للإبحار ... سأترك لكم ملف العملية ... اقرءوه جيدًا ... أتمنَّى لكم التوفيق.

وما إن انتهى الاجتماع ... دخل عليهم أحد رجال المنظمة وطلب منهم مصاحبته إلى جبل «النرجس» ... فقد رأى هناك رجلًا أشقر بصحبة أحد العاملين بالمخزن.

– وما معنى هذا؟

كان هذا سؤال «عثمان»، وكانت الإجابة من «أحمد»، فقال له: هذا معناه أن عملية تجميع هذه الصواريخ تتم في هذا المخزن بمعاونة خبراء أجانب.

انسحبت «ريما» من بينهم ... وقالت وهي في طريقها إلى الشرفة: لا يجوز القطع بالرأي كما فعلتَ يا «أحمد».

لم تعجِب «أحمد» طريقتها في الاعتراض ... فتململ في جلسته وقال لها: لن أستطيع محادثتك وأنت هناك يا «إلهام»؟

يبدو أن «إلهام» لم تسمع ما قاله «أحمد» ... أو أن هناك شيئًا ما خارج الشرفة يشغلها ... فقد التزمت الهدوء التام ... ووقفت خلف زجاج الشرفة للحظات قبل أن تمد يدها إلى المقبض وتفتحه في هدوء شديد ... ثم فتحت الشباك فجأة ... فسمعوا أصواتًا جلية خارج الفيلا، فقفز من نوافذ القاعة الخمسة شياطين ... هم «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» و«قيس» و«هدى».

وخلف الأصوات الجلية جروا، فاتجهت الأصوات إلى الماء ... وهم من خلفها ... وكان الظلام حالكًا فلم يتبيَّنوا أيًّا من مطارديهم ... ولم يرَوا إلا أشباحًا ثلاثة ... تجري في الماء وهم من خلفهم حتى ابتلعهم الماء. ساد بعدها صمت مريب ... وقف بعده الشياطين مذهولين ممَّا جرى، فأين ذهبت هذه الأشباح؟

وهل هي أشباح حقًّا أم إنهم من أعضاء العصابة؟

وهل غرقوا أم إنها خدعة؟

وهل يبحثون عنهم أم يفرون منهم؟

وهل سيعودون أم سيتوغَّلون داخل البحر حيث ينتظرهم مركب ما؟

وعند هذا السؤال قفز في أذهانهم سؤال خطير ... هل هم من «بلطيم»؟ أم من «أوروبا»؟!

سر الدلافين المضيئة!

عاد «عثمان» سريعًا إلى الفيلا ... وبعد حوالي ثلث الساعة ... كان بقية الشياطين الواقفين في الماء يتقهقرون ... في الوقت الذي لبس فيه «عثمان» و«ريما» و«إلهام» و«خالد» ملابس الغوص ... وتوغَّلوا في الماء من منطقة بعيدة عن أعين أو أسماع الأشباح.

وبعد حوالي ربع الساعة عادت الأشباح للحركة مرةً أخرى ... وكان فريق «عثمان» يرقبهم عن بُعد ... دقائق وتحوَّل سيرهم إلى سباحة، وعلا في صمت الليل صوت ضرب أذرعهم وسيقانهم للماء ... ويبدو أنهم في طريقهم إلى مركب تقف على مسافة قريبة في انتظارهم.

كان الشياطين في أثرهم ... غير أن السباحة طالت دون أن يظهر للمركب أثر، وطفت فوق الماء فقاقيع هواء كبيرة ... اختفى بعدها الأشباح الثلاثة ... فعرف الشياطين أنهم الآن يغوصون للأعماق فغاصوا خلفهم ... واستخدموا ما لديهم من كشافات ضوئية تعمل تحت الماء ... وبعد أقل من ثلث الساعة ... ظهر في قاع البحر جسم معدني كبير ... هل هذا معقول؟

هل يمكن لهذه العصابة أن تمتلك غواصة؟ أم إنها ليست عصابة؟

وهؤلاء الأشباح هم عملاء لمخابرات دولة معادية؟

وأن تهريب هذه الأسلحة ليس للاتجار ... بل لتنفيذ عمليات تفجير إرهابية وتخريبية على أرض هذا الوطن الآمن.

التدخُّل الآن لا يجوز ... فما لديهم من أسلحة لا يصلح للتعامل مع قوات نظامية ذات قدرات تسليحية حربية ... بل إن قدراتهم التسليحية تصلح للاشتباك مع أفراد أو أعضاء في عصابة.

ولكن كيف دخلت هذه الغواصة مياهنا الإقليمية دون أن تدري بها قوات حرس الحدود؟

هل لديهم تقنيات أعلى من قدراتنا على الرصد؟! إنه أمر مخيف ... وقد يكون تهريب الرءوس المفجِّرة التي تنقص الأجزاء المهرَّبة من قبل ... في باطن هذه الغواصة ... وإن شكوك المنظمة في شركة الشحن اليونانية وفي المركب الذي تحرَّك من «نابولي» ليست في محلها ...

إن الأمر يحتاج الآن إلى رقم «صفر» ... ولكن هل هناك وقت للخروج من الماء ... والاتصال به؟

بالطبع هم ليس أمامهم الآن إلا المحاولة ... وفي إشارة مفهومة لهم ... أعطاهم «عثمان» الأمر بالعودة ...

فانزلقوا عائدين إلى أن خرجوا من الماء ... فوجدوا زملاءهم ينتظرونهم وفي عيونهم تساؤلات كثيرة.

ولم ينطق أحد منهم بسؤال إلى أن عادوا إلى الفيلا ... وقبل أن يعبروا بوابتها قال لهم «عثمان»: هناك غواصة في مياهنا الإقليمية.

بُهت الأصدقاء جميعًا وقالوا في دهشة: غواصة؟!

خالد: لم نعرف كيف نتصرَّف ...

أحمد: هذه الأمور تحتاج لرقم «صفر» بالطبع ...

إلهام: هذا ما دار بخلَدنا ولهذا عدنا.

عثمان: فلنتصل برقم «صفر» ونبلغه الأمر.

ريما: وهل تُراهم سينتظروننا حتى نبلغه. إنهم الآن في عرض البحر ...

أحمد: يجب إبلاغ رقم «صفر» أولًا وبعد ذلك نتناقش.

وفي رسالة عاجلة أرسلها عبر ساعته ... قال «أحمد»: «هناك غواصة في مياهنا الإقليمية ... على ساحل «بلطيم».»

ما إن تلقَّى رقم «صفر» الرسالة ... اتصل بـ «أحمد» وقال له: أنا في الطريق إليكم ... انتظروني خلال دقائق ...

وبالفعل لم تمضِ أكثر من عشر دقائق عندما بدأ اجتماعه بهم بقوله: من الذي رأى الغواصة؟

أجابه كلٌّ من «عثمان» و«إلهام» و«ريما» و«خالد».

فقال يسألهم: ألم يكن الظلام حالكًا؟

ابتسم «عثمان» في دهشة وهو يقول: يا زعيم كانت لدينا كشافات.

قال رقم «صفر» موضِّحًا: هذا ما قصدته ... إن انعكاس ضوء الكشافات على الماء في هذا الظلام ... يخلق مسطَّحًا وهميًّا لامعًا وكأنه جسم معدني.

إلهام: لم يكن كذلك يا زعيم ... بل كانت تغطِّيه الطحالب الخضراء والصفراء.

رقم «صفر»: هل رآكم أحد منهم؟

خالد: لا لم يحدث ...

رقم «صفر»: وكيف عرفت ... ألَا تقول إنها غواصة؟

خالد: لقد كانوا منشغلين برجالهم.

رقم «صفر»: أنت تخمِّن هذا ... ولكنك لست واثقًا من أنها الحقيقة.

ريما: لم يرَونا يا زعيم؛ بدليل أن الغواصة لم تتحرَّك حتى غادرنا المكان ... ولم يهاجمنا أحد منهم، ولو رأونا لهاجمونا.

رقم «صفر»: هذا يعني أن تهريب الرءوس المتفجِّرة المكمِّلة لشِحنة الصواريخ المفكَّكة قد تمَّ تهريبها إلى داخل البلاد.

أحمد: أو سيتم تهريبها.

رقم «صفر»: تقصد أنهم لم يتمكَّنوا بعد؟

أحمد: نعم ...

رقم «صفر»: أنا أرى أيضًا ذلك ...

قيس: لقد رأى أحد رجال المنظمة رجلًا أشقر يحوم حول مخازن جبل «النرجس».

رقم «صفر»: يحوم فقط؟

قيس: نعم ...

رقم «صفر»: إذن فهم يعاينون المنطقة ...

إلهام: ولكن كيف دخلوا مياهنا الإقليمية يا زعيم دون أن تكتشفهم أجهزتنا.

رقم «صفر»: هذا ما سنعرفه.

وأخيرًا حدَّد «بو عمير» المهمة التالية بقوله: ألن نستكشف القاع لمعرفة هل هي بعدُ موجودة أم رحلت؟

رقم «صفر»: هذا ما أقوم به الآن.

تملَّكت «ريما» الدهشة وقالت تسأله: كيف يا زعيم؟

رقم «صفر»: عن طريق التليفون المحمول والقمر الصناعي.

زبيدة: إننا في حاجة إلى تليفون متطوِّر مثل ما معك يا زعيم ...

رقم «صفر»: سيحدث قريبًا ... أمَّا ما حدث فعلًا فهو مغادرة الغواصة لمياهنا تمامًا ...

أحمد: كيف عرفت يا زعيم؟

رقم «صفر»: لم يرصدها القمر الصناعي.

أحمد: لقد اتصلت بمركز معلومات المقر ... وعرفت أن إحدى الدول المتقدِّمة توصَّلت إلى صنع غواصة شبح مثل الطائرة الشبح ... لا يمكن رصدها ...

رقم «صفر»: هل تقصد أن تكون هذه الغواصة؟

أحمد: نعم ...

رقم «صفر»: إذن فمن يريد تهريب الأسلحة إلى داخل بلادنا؟ ومن يريد زرع الإرهاب؟ هي دولة، ودولة متقدِّمة ... ألَا تقصد ذلك؟

أحمد: أو جماعات إرهابية استطاعت الحصول على هذه التقنية.

رقم «صفر»: قد يكون ذلك ... وعلينا الآن تأمين أنفسنا جيدًا.

عثمان: لماذا لا نهاجم المخازن المرصودة والمعروف مكانها ...

رقم «صفر»: ليس الآن ... فهم حتى الآن لا يعرفون أننا وراءهم ... ويتصرَّفون بأمان تام، وهذه ميزة لنا.

ومرةً أخرى عاد «بو عمير» لمطلبه الأخير قائلًا: ألَا ترى أهميةً لمسح القاع والبحث عن الغواصة يا زعيم؟

رقم «صفر»: هل ستقومون به أنتم؟

وعنهم أجاب «أحمد» قائلًا: نعم يا زعيم ...

رقم «صفر»: ولو أنني أظن أنكم لن تجدوا شيئًا ...

سأترك لكم مولِّد إشارات ... إن وجدتم الغواصة كما تقولون، فألصقوه بها ... فسيمكن لقمرنا رصدها عن طريقه.

كان الظلام قد انتصف ... وافترشت النجوم السماء ... أمَّا على الأرض ... على الشاطئ، فقد كان الظلام حالكًا ... والسواد داكنًا ... فالرمل أسود والمياه ...

وكما قال «عثمان»: الأبكم الأصم هنا لا يرى حياة؛ لأنه لن يسمع صوت هذا الموج المتلاطم ... وفحيح الريح التي تمسح سطح الماء فتصدر صوتًا مخيفًا ... إنه لن يرى إلا هذا السواد ... لن يرى إلا ... وتوقَّف «عثمان» عن الكلام لبرهة ... ثم همس في أذن «أحمد» قائلًا: «أحمد» ألَا ترى ما أراه؟

نظر «أحمد» على مرمى بصره فلم يرَ إلا ظلامًا، فقال له: إنه الظلام يا «عثمان» ...

توترت عضلات «عثمان» ... وقطع الطريقَ عليه ليقف ممسكًا بذقنه ليدير وجهه إلى اتجاه ما يقول له: هناك يا «أحمد» ... هناك ... ألَا ترى ما أراه؟

فتح «أحمد» عينَيه مرةً أخرى فرأى ما أدهشه ... وعلَّق قائلًا في جملة ممطوطة: إنه دولفين ...

عثمان: لقد كانا اثنَين ...

كان «أحمد» لا يزال معلِّقًا عينَيه على الدولفين فقال له: وأين ذهب الآخر؟

عثمان: لقد انسحب إلى الماء مرةً أخرى.

أحمد: كيف نراهما في هذا الظلام الحالك؟

عثمان: إنها ذات أجساد مضيئة ...

أحمد: لم أعرف أو أرَ دولفينًا ذا جسد مضيء من قبل!

عثمان: إمَّا أنها مطلية بمادة فسفورية تضيء في الظلام ... أو أنها معدَّلة جينيًّا ...

أحمد: معك حق ... فقد رأيت فئرانًا مضيئة في أحد معامل الهندسة الوراثية في مركز بحوث المنظمة.

كانت «إلهام» قد اقتربت منهما ومعها «ريما»، فانتقل «عثمان» إليها بالحديث قائلًا: «إلهام» تقصد الدلافين المضيئة؟

عثمان: نعم ...

تدخَّل «أحمد» محاولًا تفسير ما رأوه قائلًا: إنها تخص أحد مراكز البحث العلمي.

إلهام: ليس في «بلطيم» بالطبع.

وهنا تدخَّلت «ريما» قائلة: ولا في «مصر» كلها.

عثمان: إذن كيف أتت إلى «مصر»؟

ريما: سباحة ...

ضحك الزملاء ... وفي جدية قال «عثمان»: هل ستأتي سباحةً من «أوروبا» إلى هنا؟

جلست «إلهام» القرفصاء وهي ترى الدولفين يتشمَّم المكان ثم يزحف ليتشمَّم ما بعده ... وبجوارها جلس «أحمد» وهو يقول: إنه يبحث عن شيء ...

لحق بهما «عثمان» وهو غير مصدِّق لِمَا يراه ... وقال: أتُراه يبحث عن طعام؟

استندت «ريما» على «إلهام» وهي تجلس بجوارها ... وأجابته قائلة: الدلافين ليس لها طعام على البر ...

راجع «عثمان» نفسه فيما قاله ... فقد أعطى الفرصة لـ «ريما» أن تصحِّح له معلوماته ... وكعادته حيث يُثار ... أطلق صاروخًا غيَّر مجرى الحديث بقوله: هذه الدلافين مدرَّبة للأغراض العسكرية ... وإذا كانت الغواصة التي رأيناها لا يمكن رصدها لأنها نتاج تكنولوجيا فائقة ... فهذه الدلافين تتبعها ... لأنها أيضًا نتاج بحث علمي متطور جدًّا ومكلِّف للغاية.

ابتسم «أحمد» رضاءً عن النتيجة التي وصل إليها «عثمان»، وعلَّق قائلًا: كنت أنتظر أن يفهمها «عثمان» وحده ...

خطة أسر الدلافين!

اجتماع سريع واتفاق سريع تمَّ بين «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«ريما»، على ماذا؟

على ألَّا تعود هذه الدلافين من حيث أتت ... وإذا كانت الغواصة ما زالت بالشاطئ فيجب ألَّا تغادره.

هذه قرارات شباب يثقون في أنفسهم ... ويعرفون قدراتهم ... وليست دائمًا الغلبة للسلاح الأكثر تطوُّرًا ... بل العقل الأكثر رجاحةً كثيرًا ما يحسم المعركة لصالحه ...

ولكن المهم الآن هو كيف سيطلون إلى هذه النتيجة؟

نظر «أحمد» إليهم مليًّا ثم قال: لو أنكم أردتم اصطياد هذا الدولفين دون أن تُعرِّضوه للخطر، ماذا ستفعلون؟

توقَّف «عثمان» عن تنظيف نظارة الرؤية الليلية ... ونظر له قليلًا قبل أن يقول: سأرمي عليه شبكةً ويكون طرفها في يدي.

أحمد: ولو أنه سِرب من الدلافين؟

عثمان: سأصنع حولهم سياجًا ...

أحمد: أو نمد حولهم شبكةً من الأرض إلى سطح الماء.

ريما: لا أفهم.

أحمد: سنجعل الشبكة كالسور تسد الطريق من قاع الماء حتى سطحه ... وتُحيط بالدلافين ...

أعجبت الفكرة «إلهام» جدًّا، إلا أنها رأت أن تنفيذها صعب ... فكيف سيُثبِّتون هذه الشبكة بالقاع؟

وقد سألت «أحمد» عن هذا ... فقال يجيبها: الرصاص هو الحل ... فهو معدن ثقيل للغاية ... وسهل التشكيل ... ويُستخدم دائمًا لهذا الغرض ... فقط نحن نحتاج إلى كمية وفيرة منه ومن الشباك ... فكيف سنحصل عليها؟!

قفزت «ريما» من مكانها ... ووقفت أمام «أحمد» تستحثه قائلة: الوقت ليس في صالحنا ... فالليل أقصر من أن نتمكَّن من صنع كل ذلك فيه ...

نظر لها «أحمد» متسائلًا وقال: وما الحل إذن؟

ريما: نتصل برقم «صفر» وهو يُعد لنا كل هذا أو يدلنا عليه.

أحمد: هذا أفضل حلٍّ ...

ريما: نعم ... ولكن علينا أن نسرع في طلبه.

أحمد: سيحدث ...

قال هذا ثم قام بالاتصال برقم «صفر» وشرح له كل التطوُّرات التي طرأت على مهمتهم ... وأخيرًا الحل الذي توصَّلوا إليه وحاجتهم للشباك والرصاص ...

وقد لاقت هذه الفكرة استحسان رقم «صفر» وقال له: ولكنك تحتاج إلى مساحة كبيرة من الشباك.

شعر «أحمد» بالقلق ... رغم أنه يعرف أن رقم «صفر» يمكنه التصرُّف ... فأجابه قائلًا: هل سيستغرق هذا وقتًا؟

رقم «صفر»: بالنسبة للظروف التي تحيط بك الآن ... سيُعتبر هذا الوقت طويلًا ...

أحمد: وهل ترى حلًّا آخر ... أم تكفينا المحاولة؟

رقم «صفر»: يجب أن يكون لديكم خطط بديلة ...

أحمد: علينا أن نستثمر وقت إعداد الخطة البديلة في تنفيذ هذه الخطة.

رقم «صفر»: ليس أمامك حل إلا جمعها من الصيادين ...

انزعج «أحمد» من هذه الفكرة ... فمَن هم الصيادون الذين يوافقون على التضحية بمصدر رزقهم وأين هم؟ وكم صيادًا يجب المرور عليه لجمع العدد المطلوب؟ ولماذا سيعطيها لشخص لا يعرفه؟ وأخيرًا سيتسبَّبون بهذا في نقص خطير في كمية الأسماك التي ستُطرح في السوق.

قاطع رقمُ «صفر» «أحمد» وهو يعدِّد أسباب انزعاجه من الفكرة وقال له: كل اعتراضاتك مردود عليها ... وأولها من هم الصيادون؟

أجيبك بالآتي: هناك قريةٌ صيادين على بُعد حوالي اثنَي عشر كيلومتر من هنا، يعمل معظم أهلها بالصيد، سواء من البحر أو بحيرة «البُرلُّس» والتي تحمل القريةُ اسمها ...

ونحن نعرف شيخ الصيادين فيها ... وبالتنسيق بينه وبين شرطة المسطحات المائية يمكن جمع الغزل، ومن سيضار منهم سنعوِّضه.

إنك بهذا أجبت عن كل أسئلتي يا زعيم.

رقم «صفر»: ولكن هناك ملاحظة مهمة، وهي أن غزل البحيرة لن يساعدك في هذه المهمة لأنه ليس قويًّا مثل غزل البحر ... وليس به رصاص بنفس الثقل ...

أحمد: ولماذا نلجأ لغزل البحيرة؟

رقم «صفر»: لأنه المتوافر المضمون الآن ... فصيَّاد البحيرة يصطاد أثناء النهار ... ثم يبيت في داره ومعه غزله ... أمَّا صياد البحر، فقد يبيت في مركبه في عرض البحر لأيام طويلة.

أحمد: وكيف يحتمل كل هذه المدة بدون مؤن؟

رقم «صفر»: لا ... إنه يحمل معه مؤنه ومعداته وغطاءً للنوم له ولرجاله.

أحمد: إذن سنحاول النجاح لغزل البحيرة إن لم نجد صيادي البحر قد عادوا بعد ...

رقم «صفر»: سأُناقش هذا الأمر مع الرَّيس «علي شرابي».

أحمد: هل هو شيخ الصيادين؟

رقم «صفر»: نعم ...

أحمد: ومتى ستبلغنا؟

رقم «صفر»: سأتصل بشرطة المسطحات الآن ... وأبلغك فور الوصول إلى اتفاق.

كان الشياطين يتابعون حديث «أحمد» مع رقم «صفر» وهم في غاية الإثارة، وقد وصلوا من ثنايا الحديث ... إلى كل الأبعاد والاتفاق ... رغم أنهم كانوا في هذا الوقت مشغولين بمتابعة الدلافين الثلاثة التي أحاطت بالدولفين النائم على الشاطئ ... وقد طمأنهم هذا إلى جواز نجاح خطتهم.

وطرأت لـ «عثمان» فكرة ... أو لنقل رغبة في مهاجمة الدلافين وأسر أحدها ... فقد يمنعها ذلك من الهرب ... لأنها لم تتحرَّك إلا به ... ولن تتركه أسيرًا ... غير أن هذه الفكرة لم تجد تشجيعًا من أحد؛ لأن الدولفين جسده أملس جدًّا ... ولا يمكن الإمساك به، هذا أولًا.

ثانيًا: بقية الدلافين ستهرب بالطبع ولا أحد يعرف رد فعلها الذي قد يثير مَن بالغواصة، وهذا يعرِّض الجميع للخطر.

قاطعهم «عثمان» وهو يفترش الرمال قائلًا: لا عليكم ... كانت فكرةً مجنونة وغير جيدة ... ولكنها ...

لم يكمل «عثمان» اعتذاره ... فقد رأى الدلافين تنتشر على الشاطئ وتتحرَّك في اتجاهات شتَّى بحثًا عن شيء ... وقد كان اتجاههم ضمن هذه الاتجاهات ... فانتفضوا جميعًا واقفين ... ليس خوفًا منها ... ولكن خوفًا من أن يطرأ شيء لم يحسبوا حسابه فيُفشل ذلك لهم كل خططهم.

غير أنها عادت مرةً أخرى لمكان تجمُّعها الأول، ثم انزلقت إلى الماء مع أول موجة زارت الشاطئ وطالتها مياهها.

كاد «عثمان» يقفز إلى الماء خلفها ... فقد كانوا مؤتنسين بوجود هذا الدولفين وحده على الشاطئ؛ فقد كان يُشعرهم بأن خطتهم قريبة من النجاح ... أمَّا الآن فإنهم يلعبون على المجهول.

وقد ظلَّت فكرة نزوله الماء خلف الدلافين تلح عليه، حتى تبلورت من فكرة إلى قرار، فحادث فيه «أحمد» قائلًا: نحن الآن لا نعرف شيئًا عمَّا يدور تحت الماء.

أحمد: نحن في انتظار استكمال خطتنا.

عثمان: وماذا سيحدث لو مددنا الشباك ولم نجد في الماء شيئًا ... وتكون الدلافين قد رحلت ومن قبلها الغواصة؟

أحمد: هل يمكننا فعل شيء غير الانتظار؟

عثمان: نعم ... سأنزل إلى الماء وأغوص بحثًا عن الدلافين وعن الغواصة.

أحمد: الماء الآن بارد جدًّا والظلام حالك ... وهناك أخطار مجهولة لا نعلمها؛ فقد يكون الرجال الذين طاردناهم من قبلُ في انتظارك الآن، فماذا سنفعل؟

وفي إصرار شديد ألحَّ «عثمان» قائلًا: أنا سأغوص للتحري فقط.

أحمد: أرجو أن تعود سالمًا ...

عثمان: لن أتأخَّر ...

أحمد: هل معك نظارة الرؤية الليلية؟

عثمان: نعم ...

تحرَّك «عثمان» وبداخله حماس جارف ... ورغبة في معرفة مدى جدوى ما يقولون به، فهل سيجد الغواصة في مكانها، أم إنها رحلت ومعها الدلافين؟ ... وبهذا تكون كل جهودهم قد باءت بالفشل.

وفي نعومة شديدة انزلق إلى الماء وأخذ يسبح حول المكان ليعتاد جسده على درجة حرارة الماء ... ثم في زاوية انحراف منفرجة ... اتخذ طريقه إلى حيث تتبع الغواصة ... وكان الظلام حالكًا ... غير أن نظارة الرؤية الرقمية ... يسَّرت له متابعة سيره الذي طال

دون العثور على الغواصة ... ورغم أنه غيَّر اتجاهه أكثر من مرة ... إلا أنه لم يصل إليها ولا إلى الدلافين ... وكان آخر قرار لديه هو قرار العودة ... وقد اضطُر إلى اتخاذه لأنه شعر بالإرهاق ... وبأنه يجب الاحتفاظ ببقية ما لديه من طاقة للعودة، ولأي شيء يطرأ خلالها.

وقد كان قراره صائبًا ... فعندما اتخذ طريق العودة ... لم يصل إلى الشاطئ، بل أخذه إلى داخل المياه ... فقد سبح طويلًا تحت سطح الماء معتمدًا على ما لديه من أوكسجين، ولم يخرج إلى السطح مرةً واحدة ليعرف أين هو ... وعندما فكَّر في ذلك وخرج إلى سطح الماء، وجد نفسه بعيدًا جدًّا عن الشاطئ.

وكما تعلَّموا وتدرَّبوا طويلًا ... فقد احتفظ بهدوء أعصابه ... وطفا على سطح الماء واستلقى على ظهره ليستجمع قواه ... ويقرأ النجوم ... ليعرف من مواقعها الطريق الذي سيتخذه للوصول إلى الشاطئ.

في هذه الأثناء كان رقم «صفر» قد اتصل بـ «أحمد» وطلب منه مقابلة الريس «علي شرابي» الآن فورًا ... وكان الاتصال قصيرًا للغاية والرسالة سريعةً جدًّا ... لذلك لم يتمكَّن من إبلاغه بنزول «عثمان» إلى الماء وتأخُّره كل هذا الوقت ... وبصعوبة تحرُّكه قبل أن يطمئن عليه ... إلا أن «إلهام» طلبت منه هو إتمام المهمة على أن تقوم هي بالاتصال ببقية الزملاء ومشاركتهم البحث عنه.

اضطُر «أحمد» لتقبُّل قرار «إلهام» ... وعاد سريعًا إلى الفيلا، فاستبدل ملابسه واستقلَّ سيارته «اللاندكروزر» وقطع سكونَ الليل صوتُ زمجرة فراملها ... وأزير احتكاك عجلاتها بالأرض ... وانتقل هدير محرِّكها من منطقة الفلل إلى الطريق المؤدي إلى مدخل البلد ... كان الظلام حالكًا ... والهدوء البالغ حد الصمت يسود المكان ... والطريق خاليًا تمامًا من السيارات ومن المارة ...

وعندما مدخل البلد ... وفي الميدان الذي يتوسَّط منطقة التقاء طريق «بلطيم» بطريق «البُرلس»، كانت تقف سيارة شرطة المسطحات وبجوارها يقف ضابط برتبة رائد ومعه رجل في نهاية الحلقة الخامسة من العمر ... يرتدي جلبابًا أسود وطاقيةً من الصوف.

عرف «أحمد» أنهما المقصودان ... فأوقف سيارته بجوارهما، وغادرها قفزًا ... وفي ابتسامة متبادلة بينهم تمَّ اللقاء والتعارف والاتفاق على عقد اللقاء في منزل الريس «علي شرابي».

كان منزل الريس «علي» يُطل على البحر وعلى البحيرة ... والجالس في شرفته يراهما سويًّا ويرى القوارب المصطفة على ضفة البحيرة وقد أرخت قلوعها ... وكأنها استسلمت هي الأخرى للنوم.

ورغم أن الريس «علي» فتح لهما غرفة استقبال الضيوف ... إلا أن «أحمد» آثر أن يجلس في هذه الشرفة ... ولاقت هذه الرغبة ترحيب الرائد «محمود»، وكان هذا اسمه، وبمجرَّد جلوسهما قال لـ «أحمد»: لقد أبلغَتني الوزارة بخطورة المهمة التي تقومون بها ... وأنها قضية أمن قومي.

اعتدل «أحمد» في كرسيه ... فقد مسَّ عنده هذ الكلام وترًا حساسًا ... وقال له: حقًّا هي قضية أمن قومي ... فهل عرفت ما المطلوب منك؟

الرائد «محمود»: المطلوب مني هو تسهيل مهمتك مع شيخ الصيادين ... ومساعدتك في إقناعه وتقديم الضمانات الكافية له ... فيما سيقدِّمه لك من مساعدات ...

امتعض «أحمد» ... وبدأ التوتُّر يتسرَّب إليه، وقال في حِدة: تقصد أنه لم يعرف بعدُ المطلوب منه؟!

اتفاق وإنفاق!

كان الرائد «محمود» يتصرَّف في حدود الأوامر التي صدرت له ... لذلك لم يخبر الريس «علي شرابي» ... شيئًا عن طبيعة المهمة التي سيوكلونها إليه ...

وفي كل الأحوال ... الريس «علي» لا يتوانى عن تنفيذ كل ما يطلبه منه لخدمة بلده ما دام في حدود استطاعته، فطلب «أحمد» التعجيل بعرض الأمر عليه ... وقد كان ... فقد ناداه الرائد «محمود» وطلب منه الاستماع جيدًا لـ «أحمد» الذي قال: يا ريس «علي» هناك مهمة خطيرة نقوم بها الآن في مياه البحر بالقرب من مصيف «بلطيم»، ونحن نحتاج إلى مساحة كبيرة من الغزل وكمية كبيرة من الرصاص ...

الريس «علي»: أنا لن أسألك عن طبيعة هذه المهمة ... ولكن يجب أن تُخبرني عن بعض التفاصيل.

أحمد: لا بل سأخبرك عن طبيعة المهمة يا ريس «علي» ...

ارتسمت علامات الرضا على وجه الريس «علي»، ونظر في اهتمام لـ «أحمد» الذي أكمل قائلًا: هناك مجموعة من الدلافين تخص أحد المراكز العلمية الأوروبية جنحت إلى مياهنا الإقليمية، وهي الآن على شاطئ «بلطيم» ... هذه الدلافين يجب حمايتها وإعادتها من حيث أتت ... إلى هنا والموضوع عادي ... ولكن الخطير في الأمر أن هذه الدلافين تعرَّضت لمواد مشعة ... وإذا عادت وحدها من حيث أتت فقد تكون فريسةً للقروش والأسماك المفترسة ... وبهذا ستتأثر بقاياها في أماكن كثيرة لتتغذى عليها أسماك هذه المنطقة فتتحوَّل إلى أسماك ملوَّثة إشعاعيًّا ... وأنت تعرف أن الأسماك دائمة الحركة وأنها آكل ومأكول ... وفي هذا خطورة على ثروتنا البحرية من الأسماك والأحياء المائية ... فقد تتلوَّث كلها بالإشعاع ... ولأنها مصدر غذائي مهم للمواطنين ... فقد تنشر بهذا مرض السرطان الذي يسبِّبه التلوث الإشعاعي.

كان الريس «علي» مستغرقًا مع «أحمد» في إنصات شديد ... ولم يستطع أن يقاطعه ولو في حرف ... فأكمل «أحمد» قائلًا: لذلك فنحن في حاجة إلى الغزل والرصاص لكي نصنع سياجًا في الماء حول المنطقة الموجودة بها الدلافين، دون أن نتسبَّب في إصابتها حتى لا نُلوِّث الماء بالإشعاع ... بلغ حماس الريس «علي» ذروته للمعاونة في هذه المهمة ... وطلب من الرائد «محمود» أن يعيره زورقه، فسأله الرائد عن السبب، فأخبره بأن الغُزول التي يستطيع الاعتماد عليها موجودة على مركبَين مستقرَّين الآن في عرض البحر ... ورجاهما أن يتركا هذه المهمة له ... على أن يُحدِّدا له موقع الدلافين بالضبط ...

فرسم «أحمد» رسمًا إحداثيًّا يفهمه أهل البحر ... وفهم منهما ما ينوي عمله بالضبط، وقد شعر بالرضا عنه وعن الريس «علي» أيضًا ...

وأثناء العودة ... عودته ... دار في رأسه كلام قاله للريس «علي» وشعر أنه الحقيقة ... فهذه الغواصة ... وهذه الدلافين ليس لها علاقة بالأسلحة التي يتم تهريبها، لا ... بل إن لها علاقةً بما هو أخطر، ويجب كشفه ... وهنا ... هنا فقط شعر أن الأمر يحتاج لرقم «صفر» ... فقام بالاتصال به ... وكان مستيقظًا يتابع العملية ... فأخبره بما تمَّ حتى الآن ... ثم أَسَرَّ له بمخاوفه وشكوكه، فقال له رقم «صفر»: القضية هي كما أبلغتكم بها ... تهريب أسلحة ومتفجرات داخل البلاد ... وهذه الغواصة وهذه الدلافين موجودة في مياهنا لتهريب رءوس التفجير الخاصة بهذه الأسلحة ... وأنا لا أُخالفكم الرأي ... فقد تحتوي هذه الرءوس على يورانيوم مستنفَذ أو أية عناصر مستنفذة ... وهو ما يجعل القضية أكثر خطورةً من تلويث منطقة محدودة بالإشعاع.

اطمأن «أحمد» لِمَا قاله رقم «صفر» ... ورآه أكثر صوابًا ... وبهذا أصبحت القضية كلها في نطاق سيطرتهم.

ولكن كيف؟

مرةً أخرى يسأل «أحمد» نفسه هذا السؤال ... إنه يشعر أن هناك شيئًا ما ناقصًا ... نعم ... نعم ... إنها وسيلة الاتصال بالريس «علي» وهو على ظهر المركب. ومرةً أخرى قطعت سكونَ الليل صرخات فرامل «اللاندكروزر»، وفي زاوية شديدة الانفراج دار بها حول نفسها ... ثم انطلق عائدًا إلى نقطة المسطحات المائية، فرأى مجموعةً من الجنود يدفعون اللنش إلى سطح الماء ... فسألهم عن الرائد «محمود» فاصطحبه أحدهم إلى مكتبه ... فوجد هناك الريس «شرابي» يُتم استعداداته للمهمة ... فسأله عن وسيلة اتصالهما وهو في عرض البحر ... فطمأنه الرائد «محمود» إلى أنه كثير ... وموجته قد تُلتقط وتُحل شفرتها في هذه الغواصة الخارقة.

لذلك سلَّمه تليفونه المحمول قائلًا له: سيكون هذا معك ثم تعيده لي بعد انتهاء المهمة.

الرائد «محمود»: وهل هو والآن يعمل؟

أحمد: نعم ... ويمكنني تعطيله عن العمل ... وإعادة تشغيله عن بعد ... عن طريق تليفون أحد الزملاء ... ويمكنني أيضًا إدارته إدارةً كاملة عن بُعد.

نظر له الرائد في دهشة ثم قال له: وفَّقكم الله ...

فابتسم له «أحمد» ... ثم ربت على كتف الريس «علي» وقال لهما: وفَّقكم الله ...

مرةً أخرى يعلو صراخ «اللاندكروزر» ... وأزيز احتكاك عجلاتها بالأسفلت، ومرةً أخرى تعود من حيث أتت ... حيث الطريق الموصل إلى مدخل «بلطيم». أفكار كثيرة في رأس «أحمد» تتلاحق ... فـ «عثمان» تائه في عرض البحر دون قارب أو وسيلة نجاة ... والبحث عنه باستخدام أي من هذه الوسائل سيُفشل المهمة التي هم بصددها، أمَّا إذا دخل أحدهم للبحث عنه فقد لا يعود مثله ...

وفي الطريق وقرب جبل «النرجس» قرَّر فجأةً أن يُعرِّج على المخزن المشبوه لعله يجد جديدًا يساعدهم في إنهاء هذه المهمة الخطيرة جدًّا.

كان المكان مظلمًا للغاية ... غير أنه شعر بحركة تحت الأرض ... فأضاء كشافات السيارة وعاد مرةً أخرى إلى المكان ... أمام باب المخزن ... فشعر مرةً أخرى بحركة تحت الأرض ... فقرَّر الحفر في هذا المكان ... غير أن هذه الفكرة لم ترُق له ... فهي عملية صعبة وشاقة ... والقيام بها وحده مستحيل ...

فقرَّر متابعة هذه الحركة ... ومعرفة إلى أين تؤدي ... فظل سائرًا ... ينحرف يمينًا تارة ... ويسارًا تارةً أخرى ... ثم يعود لتعديل مساره تارة ... وتارةً أخرى يعود من حيث بدأ.

إنها مهمة غير منطقية ... وتحتاج لأجهزة تتبُّع واستكشاف خاصة ... وبغيرها لن يصل إلى نتيجة ... فهدير تكسُّر الأمواج على صخور الشاطئ ... تصنع ذبذبات ترتحل في أرض المنطقة إلى مسافات بعيدة، ومع هذا السكون التام ... يمكن لهذه الذبذبات أن تتضح جليًّا في أكثر من مكان وتعرقل تتبُّع أي ذبذبة أخرى.

إن الحل الآن هو الاستنتاج والاستنتاج فقط ...

ومن كل ما سبق من معطيات ... يكون الاستنتاج الوحيد والمعقول ... هو وجود نفق يصل ما بين مخزن جبل «النرجس» وهذا الموقع على الشاطئ.

الآن والآن بالذات يجب العودة إلى الموقع.

قالها «أحمد» وقفز من «اللاندكروزر» واستبق بها الريح إلى حيث يقيم زملاؤه على الشاطئ، وقبل أن يصل إليهم ... ترك السيارة بجوار فيلا المنظمة ... وأكمل الطريق إلى الشاطئ سيرًا على الأقدام.

وهنا وجد «إلهام» وحدها دون «ريما»، وما إن رأته قالت له: إلى ماذا وصلت؟

أحمد: لقد وجدت تعاونًا كبيرًا من الجميع، ولكن الأهم أنني حصلت على اكتشاف خطير بالصدفة.

إلهام: وما هو؟

أحمد: هناك نفق يصل بين هذه المنطقة وبين مخزن جبل «النرجس» ...

أطالت «إلهام» النظر إلى «أحمد» وفي عينَيها ألف تساؤل واستنتاج ... وقالت له: لذلك كان الدولفين يتشمَّم؟

أحمد: نعم ... بحثًا عن مدخل النفق.

إلهام: هذا احتمال.

أحمد: احتمال كبير يا «إلهام».

إلهام: كبير أم صغير ... المهم أن نُثبته عمليًّا وبسرعة.

أحمد: كيف؟

إلهام: نحن في حاجة لجهاز مسح قاع.

أحمد: تقصدين سونار؟

إلهام: نعم ...

كانت الفكرة رائعة ... فهذا الجهاز سيوفِّر لهم كثيرًا من المعلومات ... وكثيرًا من الوقت ... لذلك ... لم ينتظر حتى تختمر الفكرة في رأسه ... فالوقت لم يعد في صالحهم، فانطلق بنفسه إلى فيلا المنظمة ... فلديهم هناك جهاز متعدِّد المهام صغير الحجم يمكنه العمل كمستكشف للقاع.

في هذه الأثناء كان «عثمان» قد توصَّل إلى خطة عبقرية للوصول إلى الشاطئ ... وكانت «ريما» أول مستقبليه ... لأنها كانت تجلس بجوار الماء ترقب عرض البحر في انتظار عودته ... وكانت فرحتها شديدةً حين قابلها بابتسامة تدل على أن حالته مطمئنة.

وحين عاد سويًّا إلى «إلهام» كان اللقاء حميمًا رائعًا ... واكتملت المجموعة مرةً أخرى بعودة «أحمد»، الذي ما إن رأى «عثمان» حتى احتضنه في فرحة رغم الماء الذي يغطِّيه، واصطحبه «أحمد» عائدًا مرةً أخرى إلى الفيلا ليستبدل ملابسه المبتلة ويحصل على مشروب ساخن يعيد إليه طاقته ... وعرض عليه أن يتركه ينام قليلًا ليستعيد لياقته ... فأبى وعاد

معه إلى «إلهام» و«ريما» ... وكانتا تُجرِّبان جهاز استكشاف القاع في معرفة ما تخبِّئه الأرض، فلم يصلا إلى شيء ... فقال لهما «أحمد» وكان يعرف أسرار هذا الجهاز: هناك برنامج خاص للاستشعار عن بُعد في هذا الجهاز سأُديره لكم ... ولكن فلنعرف أولًا كيف تمكَّن «عثمان» من العودة.

ابتسم «عثمان» وقال ساخرًا: سيرًا على الأقدام.

ضحك الزملاء ... غير أن «ريما» كانت قد بلغت قمة الإثارة ... وتريد أن تعرف، فقالت له: هل حملك دولفين على ظهره.

وفي جِدية شديدة قال: نعم ... إنه دولفين عقلي ... فقد وجدت تيارات الماء في صالحي ... فحركتها تتوالى في اتجاه الشاطئ ... وعندما تأتي موجة عالية ... تتحرَّك عكس الاتجاه ... فاستلقيت على ظهري فوق سطح الماء ... وتركت تياراته تحملني رغم ما استغرقه هذا من وقت ... عقَّبت «ريما» قائلة: ومن جهد ...

عثمان: أنا لم أسبح كثيرًا ... لذلك لم أبذل جهدًا في السباحة ... والجهد الذي بذلته كان فقط في التفكير وفي مقاومة البرد.

كان «أحمد» قد أعَد جهاز الاستشعار والرقم للعمل ... فتركه لـ «ريما» و«إلهام» ... وقام بالاتصال بالرائد «محمود» الذي تلقَّى اتصالًا قائلًا: أهلًا يا سيد «أحمد» ... نحن في طريقنا لإتمام المهمة.

أحمد: ولماذا استغرقتم كل هذا الوقت؟

الرائد «محمود»: لقد كانت معظم الغُزول في الماء ... وتمَّ انتشالها ... والاكتفاء بما فيها من أسماك، ونحن الآن في طريقنا لتحديد المنطقة ... ولن أخفي عليك ما واجهناه من مصاعب في إقناع الصيادين بأهمية ما نقوم به ... وضرورة تعاونهم معنا.

أحمد: أرجو التوجُّه إلى المنطقة التي رسمتُ إحداثياتها للريس «شرابي»، ورمي الغزل فيها ابتداءً من الشاطئ ثم الدخول إلى عمق البحر ثم السير بمحاذاة الشاطئ لمسافة كيلومتر، ثم العودة مرةً أخرى إلى الشاطئ.

الرائد «محمود»: إنك بهذا تصنع قفصًا ...

أحمد: هذا بالضبط ما أُريده.

الرائد «محمود»: سيد «أحمد» معك الريس «شرابي».

أحمد: مساء الخير يا ريس «علي».

علي شرابي: مساء الخير سيد «أحمد». هل نبدأ؟

أحمد: هل وصلتم إلى النقطة «د».

الريس «علي»: نحن في الطريق إليها.

أحمد: عندما تصلون إليها أعطوني إشارة.

الريس «علي»: لقد أصبحَت على مرمى بصرنا ... ما هذا؟! ... ما هذا؟! ...

انقطع الاتصال فجأةً بين الريس «علي» وبين «أحمد» بعد أن تركت هذه الكلمات الاستفهامية ... علامات دهشة وتعجُّب لدى «أحمد».

التمرُّد المريب!

أصاب التوتر كل الزملاء الذين توافدوا على موقع إدارة العملية حين رأوا «أحمد» يذرع المكان جيئةً وذهابًا ... واضعًا تليفونه المحمول على أذنه تارة ... وممسكًا به تارةً أخرى ... يضغط على أزراره في محاولات مستميتة لإعادة الاتصال بالريس «علي» أو بالرائد «محمود».

وشعر «أحمد» أن فشل العملية أصبح ممكنًا ... فالوقت يمر بسرعة الصاروخ ... ولم يتحرَّك أحد منهم للقيام بدوره بعد ... ولم تحقِّق مجموعة «علي شرابي» أيضًا ما طُلب منها ... بل إن لديهم مشكلةً لا يعرف عنها شيئًا ... ويبدو أن الوضع كان لديهم خطيرًا، ومرةً أخرى أفلح الاتصال بهم ... فصاح «أحمد» يسأل من معه في لهفة: ماذا حدث عندكم؟!

وكان المجيب هو الرائد «محمود» الذي قال من بين لهاثه: لقد حدث تمرُّد على المركب.

شعر «أحمد» بغيظ شديد ... قال له: تمرُّد ممَّن؟

الرائد «محمود»: من الصيادين ...

أحمد: لماذا؟

الرائد «محمود»: يقولون إننا تسبَّبنا لهم في خسارة كبيرة ... لن يُعوِّضهم عنها أحد ...

أحمد: ألم تعدهم بتعويض كل ذلك؟

الرائد: هم لا يثقون في أحد ...

استبدَّ القلق أكثر بـ «أحمد» ... واندفع يركل الرمل بقدمه في غيظ يحاول كتمانه ويقول له: حتى الريس «علي» لم يتمكَّن من إقناعهم.

الرائد: لقد احتدوا عليه في النقاش ... واشتبكوا معه بالأيدي.

أحمد: وماذا ترى الآن؟

الرائد: لا أعرف ... ولكن بمجرد السيطرة على الأوضاع سأُعيد الاتصال بك.

لم يُغلق «أحمد» مع الرائد ... بل تركه مفتوحًا ليسمع ما يدور هناك.

فسمع أحدهم يقول للريس «علي»: هل سمعتَ يومًا عن صياد يخاف القوانين في شيء ... يأمرونه بسحب غزله من الماء بعد أربعة أيام من طرحه ...

ثم سمع صوت الريس «علي» يقول: من أين؟ ... ومن الذي قال لك هذا؟

الريس «علي»: سيادة الرائد «محمود» ...

كل هذا ولم يتدخَّل الرائد «محمود» بينهم، بل تركهم لشيخ الصيادين ... الذي صاح فيهم مهدِّدًا بقوله: إنها أوامر عليا وعليك تنفيذها دون مجادلة.

فردَّ عليه آخر قائلًا: نحن لسنا في البحيرة حتى تأمرنا فنطيعك ... نحن في عرض البحر. عرَّضنا أنفسنا للمخاطر والبرد من أجل لقمة العيش ... وتركنا نساءنا وأولادنا لأيام وأسابيع ... وتأتي أنت لتضيِّع منا موسمًا مثل هذا.

فاستأنف آخرُ الحديث قائلًا: إنك تنام آخر الليل في سريرك وسط أولادك، فلا تطلب منا التضحية ... لأننا دائمًا الضحية.

وعاد الأول يقول: ماذا فعلتم للريس «طه» حين سقط من فوق صاري المركب وأُصيب بكسر في حوضه ... ماذا فعلتم له ولأولاده وزوجته وقد انقطع عن الصيد لستة أشهر؟

شعر «أحمد» بالإشفاق على أولئك الرجال ... فعاد سريعًا إلى الفيلا وأخرج ما يكفي من الأموال من حقيبته ... ثم قام بالاتصال بالرائد «محمود» وقال له: كيف يمكنني الوصول إليكم؟

الرائد: ليس الآن يا سيد «أحمد» الموقف هنا لا يسمح ...

وفي حسم قال «أحمد»: ليس هناك حل آخر ...

وسمعه يتداول مع الريس «علي» لثوانٍ ... ثم قال: سأتصل بالشاويش «مسعد» لينتظرك عند نهاية اللسان الواقع في أول البلدة.

أحمد: وأنا في الطريق.

قال هذا ... وانتفض واقفًا ... وفي خطوات «أحمد» غادر الفيلا ... ثم قفز إلى «اللاندكروزر» وكان مُحرِّكها دائرًا ... فانطلق بها كالطلقة ليقطع الطريق إلى أول البلدة في دقائق معدودات، وتوقَّف عندما رأى اللسان الذي يتوغَّل داخل مياه البحر ... وقد بدا في الظلام كأنه جزء منه لولا كشافات السيارة.

غادر السيارة قفزًا ... وأغلقها جيدًا ... ثم في خطوات رشيقة على سطح اللسان ... وفي خفة الفهد، قطعه طولًا إلى آخره حيث كان زورق شرطة المسطحات المائية ينتظره وعلى

سطحه يقف الشاويش «مسعد» مادًّا ذراعه عن آخره ليمسك بيد «أحمد»، إلا أن «أحمد» لم يكن يحتاج لذلك ... فعلى هدي ضوء الكشاف ذي العينَين الذي يضعه الشاويش في الزورق تنقلب قدماه في مهارة على أحجار اللسان ... ثم قفز فاتحًا ساقَيه ليهبط في الزورق كالنسر.

وعندما التقت عيناه بعينَي الشاويش «مسعد» ... رأى فيهما الكثير من علامات الدهشة والإعجاب ... فابتسم له وقال: أهلًا يا شاويش «مسعد» ... أنا القبطان «أحمد».

اعتدلت وِقفة الشاويش ... ورفع يده يحيِّيه ... فقال له «أحمد»: الآن يمكنك التحرُّك ... هل تعرف الطريق؟

شاويش «مسعد»: أعرف يا فندم ... وسنصل سريعًا ...

انطلق الزورق منزلقًا فوق الماء ... و«أحمد» يستحث الشاويش على زيادة سرعته، ولم يمضِ الكثير من الوقت ... حين لاح مركب صيد كبير ... وفي مقدمتها كشاف مضيء ... فقام «أحمد» بالاتصال بالرائد ... فأنزل له سُلمًا من الحبال تسلَّقه في مهارة ... وبقفزة أخيرة كان معهم على سطح المركب ... ومعه حقيبته التي لفتت نظر الجميع إليها ... وتعلَّقت بها أبصارهم ...

وحين التقت عيناه بعينَي الرائد «محمود» قال له: هل قلتَ لهم شيئًا؟ ...

لم يفهم الرائد ما يقصده «أحمد»، فنظر له متسائلًا وقال: قلتُ لهم ماذا؟

انصرف عنه «أحمد» والتفت إلى الصيادين ... فنقَّل بصرَه بينهم ... وأخذ ينظر إلى كل واحد منهم مليًّا ... وهم في ذهول ممَّا يرَونه ... ثم أخيرًا التفت إلى الريس «علي» وقال له: ماذا يحدث؟

فقال الريس «علي» في امتعاض واضح: لا شيء ... لم يحدث شيء ...

وفي حسمٍ وخشونة قال له: لماذا لا يريدون استكمال المهمة؟

ولم ينتظر منه إجابة ... بل التفت إليهم ...

قال لهم بصوت عالٍ: لماذا أوقفتم المركب في عرض البحر ... فلا استكملتم المهمة ... ولا عدتم إلى عملكم؟! ... نظر الجميع إليه في ذهول ... فهم لا يعرفونه ولا يعرفون سبب ثقته ولا مصدر قوته ... فصرخ فيهم قائلًا: ماذا تريدون لاستكمال المهمة ... أموالًا ... ها هي الأموال ... أعطها لهم يا ريس «علي». وألقى بالحقيبة التي في يده، فتلقَّفها أحدهم وقال: هذه لي ولن يمسها أحد ...

أغلقت المفاجأة عقل «أحمد» للحظات ... إنه سلوك لم يحسب حسابه ... فهو ليس سلوك صياد ... ولا يمكن لصياد أن يفعل هذا ... فالصياد مثال للصبر والأمانة والصدق.

لم تُرقِّ مهنة ببشر مثلما تفعل مهنة الصيد، وبالذات صيد الأسماك ... فصياد السمك يخرج من بيته ولا يعرف بكم سيعود، ومع ذلك فهو راضٍ بقليل أو كثير ... أمَّا ما يراه فهو ليس سلوك صياد ... إنه سلوك لص ... أو رجل عصابات وفي قوة وثقة ... فرد «أحمد» ذراعه عن آخرها ... ومدَّ يده له قائلًا: أعطني الحقيبة.

فنظر له بتحدٍّ غريب وقال: لن يأخذ أحد غيري، إنها صيدي.

صرخ الرائد «محمود» فيه محذِّرًا إياه من عاقبة هذا التصرُّف ... إلا أنه لم يثنِه عن التشبُّث بالحقيبة ... فاندفع الريس «علي» يقول له: يا «منذر» لا تزِد الأمر سوءًا ... الوقت يمر والبلد تتعرَّض للخطر. لم تتوقَّف على استكمال المهمة دون مقابل ... فأحضر لكم السيد «أحمد» ما أردتموه. دعنا إذن نُكمل المهمة.

شعر «أحمد» أن في الأمر شيئًا مريبًا ... وأن هذا الرجل يحاول إضاعة الوقت لهدف ما ... وقد يكون هذا الهدف لصالح مهرِّبي الأسلحة ... فقال يسأل الريس «علي»: هل هذا الرجل من أهل البلد؟

الريس «علي»: لا ... هو من بلد مجاور ...

فالتفت إلى من حوله وقال لهم: هل ستتركونه يأخذ أموالكم؟

في هذه اللحظة أخرج مسدسًا من تحت إبْطه ... وسحب زر أمانه ... ووجَّهه إليهم قائلًا: هذا المسدس محشو ...

شعر «أحمد» أن الأمور تعقَّدت إلى مدًى بعيد ... فنظر إلى الرائد «محمود» الذي فهم ما يعنيه ... فصاح يقول لـ «منذر»: وهل سنظل واقفين هكذا؟ ... لقد أخذت الحقيبة وبها النقود ... ألَا تتركنا نُتم نحن مهمتنا؟

ثلاثة عناصر أشعلت الجنون في رأس «منذر» ... المسدس الذي في يده ... وحقيبة النقود في حوزته ... وأخيرًا صوت الرائد «محمود» العالي والذي يحمل صيغة الأمر.

اشتعل الجنون في رأسه ... فجحظت عيناه وقال مزمجرًا: أنا لم أمنعكم من إتمام مهمتكم ... أنتم من تمنعونني من إتمام مهمتي.

أحمد: وما هي؟

منذر: الرحيل بهذه النقود.

شعر الثلاثة بالخطر؛ الرائد و«أحمد» والريس «علي» ... وقد صدق حدسهم ... فقد صرخ «منذر» في وحشية قائلًا: يجب أن تغادروا المركب! ...

لفت نظرَ «أحمد» أن أحدًا من الصيادين لم يعبأ بكلامه ولا تهديده ... فهل هي شجاعة ... أم استخفاف به لسابق علمهم بعدُ بجدية تهديداته ... أم هم ينتظرون منهم هم التصرُّف.

إن الأخيرة هذه خطيرة ... لأنهم يجب أن يتحرَّكوا ... يجب أن يدافعوا عن حياتهم وعن بلدهم وعن أرزاقهم ... لماذا كل هذه السلبية؟ ... ومرةً أخيرة حاول أن يثيرهم عليه قائلًا: أتعرفون كم تحوي هذه الحقيبة من النقود؟ إن بها مائتَي ألف جنيه ... أي لكل واحد منكم عدة آلاف من الجنيهات.

صرخ «منذر» يحذِّره قائلًا: اسكت ... لا تتكلَّم ... لماذا أنت واقف هنا؟ ... تحرَّك ... تحرَّكوا جميعًا ... غادروا مركبي ... ليس لكم مكان هنا بعد الآن ... ليس لكم نصيب في شيء ... لا حظَّ للأغبياء. وقطع سكونَ الليل دوي رصاصة خرجت من مسدسه وشردت في الفضاء السحيق وهو يصرخ قائلًا: هذه في الفضاء ... والثانية ستكون لأحدكم ... وسأبدأ بالقائد ... هذا الذي أحضر النقود.

اندهش «أحمد» لحالة الصمت المريبة التي انتابت الصيادين ... فصاح فيهم قائلًا: أنا لا أرى أي فائدة من استرجاعه ... وليس أمامنا إلا مغادرة المركب.

فصاح الريس «علي» قائلًا: نغادرها إلى أين؟ ... نحن في وسط الماء!

فأدار «أحمد» وجهه بينهم وقال: ليس هناك حل آخر.

نهاية المهمة!

لم يكن الأمر يحتاج لذكاء كي يفهم «أحمد» أن هناك اتفاقًا ضمنيًّا بين «منذر» وبين بقية الرجال على اقتسام هذه الأموال دون أن يقوموا بالمهمة المطلوبة منهم ... إذن فالتمرُّد ليس سببه تعطيلهم عن الصيد ... بل هدفه تعطيل السلطات عن أداء مهمتها.

إذن فهؤلاء الرجال يعملون على مساعدة عصابة تهريب الأسلحة التي يعملون لصالحهم ... ولم يعد هناك أمل في إتمام المهمة ... فالوقت قد مرَّ سريعًا ... ولم تتبقَ إلا ساعتان تقريبًا على طلوع الفجر ... فقام «أحمد» بالاتصال بـ «عثمان» ... والغريب أن «منذر» لم يمانع، ولكنه كان يراقب ما يقوله ... وكان «أحمد» حذرًا فيما يقوله لـ «عثمان»، الذي تلقَّى اتصاله قائلًا له: أين أنت يا «أحمد»؟

أحمد: أنا في مهمة خطيرة ...

عثمان: ومهمتنا؟!

أحمد: إنها لخدمة مهمتنا ...

عثمان: لقد اكتشفنا النفق الموصل إلى مخزن جبل «النرجس».

أحمد: وأنا اكتشفت رجالهم.

كان يقول هذا وهو ينقُل عينَيه بينهم ليحفظ أشكالهم.

فقال له «عثمان»: وهل أنت بينهم الآن؟

أحمد: نعم!

عثمان: هل تحتاج لتدخُّل من الخارج؟

أحمد: ليس الآن.

وفي حركة مفاجئة ... وجَّه «منذر» فُوَّهة المسدس إلى رأس «أحمد»، ثم سحب زر الأمان وقال له: أنهِ هذه المكالمة حالًا.

رغبةً منه في أن يعيد «منذر» تهديده حتى يسمعه «عثمان» ... أشار له برأسه قائلًا: ماذا تريد؟

منذر: أغلق التليفون وإلا فجَّرت رأسك.

أغلق «أحمد» التليفون ... مستسلمًا لأوامره ... وفي نظرة عابرة بينه وبين الرائد «محمود» رفض أن يتدخَّل حفاظًا على أرواح الجميع ... ليس هذا فقط ... بل الأهم من ذلك ... أن اللعبة انقلبت ضدهم ... فقد تأكَّد «أحمد» أن هؤلاء الصيادين هم من رجال عصابة تهريب السلاح ... وأنهم حماة المخزن الشهير بجبل «النرجس»، وأنهم صانعو نفق الشاطئ الموصل للمخزن ... وهم مدربو الدلافين وحُراسها ... وهم لا يعلمون الآن أن نفقهم قد اكتُشف ... وأن مخزنهم سيتم فتحه وجرد ما به.

ولكن وعلى الشاطئ كانت هناك مشكلة تحتاج إلى حل سريع ... فهم يريدون أن يصلوا إلى مدخل النفق دون التعرُّض للغواصة ... أو حتى لفت أنظار من بها ... وكان هذا الأمر غير وارد الحدوث ... فجسم النفق صخري ولا يمكن صنع فتحة به بعيدًا عن مدخله ... لذلك قالت «إلهام»: وماذا سيضرنا إذا دخلنا من فتحته الرئيسية؟

عثمان: من بالغواصة لن يتركونا ... فإما سيشتبكون معنا قبل دخوله ... وإما يصطادوننا ونحن في منتصفه.

خالد: لا يا «ريما» ... هذا أيضًا خطر ... فقنابل الغاز تعمل جيدًا في الأنفاق.

وهنا صاح «رشيد» قائلًا: يجب أن يكون هناك حل.

ريما: سنبدأ نحن بقنابل الغاز ...

عثمان: كيف؟

ريما: سيتسلَّل أحدنا إلى مدخل النفق ... وقبل أن يكتشفوه يطلق خلفه قنبلة الغاز.

أعجبت الفكرة «إلهام» فأكملتها قائلة: سندخل ونحن مرتدون الأقنعة الواقية من الغازات ... أما هم فسيتحيَّرون بسبب إطلاق هذا الغاز.

وأكمل «خالد» قائلًا: وبالتالي ستتعطَّل جميع أجهزة المراقبة عندهم ... ولن يستطيعوا رصدنا. وابتسم «عثمان» في شقاوة وقال لها: يا لكِ من شيطان رقيق!

ابتسمت «ريما» وانشغلت سريعًا في إحضار مهمات العملية العاجلة التي أطلقوا عليها عش الدبابير ... ومعها بقية الزملاء ... وخلال دقائق ... كان الجميع عدا «أحمد» ... يرتدي الأقنعة الواقية من الغازات ... وبذلات الغوص ... ويحملون ما يحتاجونه من أسلحة وأجهزة اتصال ... وتقرَّر أن يبقى على الشاطئ كل من قيس و«بو عمير» و«هدى»

لاصطياد من يفر منهم ... أو من يحاول الالتفاف عليهم من مكان آخر ... أما عند باب المخزن فيقف «باسم» و«زبيدة» لاصطياد من يخرج من رجال العصابة.

أما بقية الزملاء فعليهم اقتحام النفق ... وفي مقدمتهم «إلهام».

وانطلقت إشارة البدء ... وجرى كل منهم ليتخذ موقعه ... أما المقتحمون فقد ساروا خلف بعضهم صفًّا ... إلى أن وصلوا إلى نقطة الارتكاز فتفرَّقوا إلى صفَّين ... حيث داروا حول هذه النقطة ثم عادوا ليلتقوا عند مدخل النفق الذي ما إن بلغوه ... حتى رمى «عثمان» والذي كان في المقدمة ... قنبلة غاز عن آخر يده ... فانطلق منها دخان كثيف جعل من النفق أنبوبةً مدخنة ... ووسط هذه الغلالة ... انطلق الشياطين خلف بعضهم يقطعون النفق سيرًا في خطوات واسعة واثقة ... ثابتة.

وعند نهايته، خرج «عثمان» لتقابله ماسورة بندقية وقد التصقت بظهره وأمر خشن بالسير صامتًا ... وتكرَّر هذا مع «ريما» وكذا «إلهام» ... إلا أن «خالد» و«فهد» لمحا ظل رجل يسير خلف «إلهام»، فتوقَّفا بداخل النفق وأوقفا كلًّا من «مصباح» و«رشيد»، وبدأ الدخان ينقشع من النفق ... فقد أدارت العصابة مراوح وشفاطات ضخمةً للتخلُّص منه ... وكشف مجال الرؤيا داخل النفق.

وشعر «خالد» أنهم في مأزق ... فأسَر لـ «فهد» في أذنه بكلمات ... تحرَّك بعدها «فهد» إلى أول النفق ... ثم عاد سريعًا ... وفي حركة مفاجئة جلس القرفصاء ... فكشف من خلفه الرجل الذي يطارده، فتلقَّى هذا الرجل رصاصةً في رأسه من «خالد» ألقته على ظهره قتيلًا، ليوسع الطريق لـ «فهد» لكي يفعلها ثانية.

إلا أن الذي ظهر بعد ذلك كان يحتمي بـ «ريما» ... فقد قادها أمامه وهو يضع فُوهة المسدس في ظهرها ... ومرةً أخرى فعلوها معهم ... فقد أشار «خالد» لها بطرف عينه اليمنى ... فسقطت جالسةً في الوقت الذي خرجت فيه الرصاصة لتثقب جبهته.

حالة فزع أصابت الرجلَين الباقيَين في المخزن ... فجريا ليغلقا بابه ... فبقية الرجال على المركب في انتظار الشِّحنة القادمة ... غير أن رصاصات «خالد» و«فهد» حالت دون ذلك، وقنبلة دخان أخرى رماها «رشيد» ... جعلت المخزن جحيمًا ... واشتدَّ سعال الرجلَين ... ولولا رحمة قلوب الشياطين لتركوهما يعانيان، إلا أن «إلهام» قالت لهما: سأعطيكما كمامتَين على أن تتعاونا معي ... اتفقنا.

ومن بين سعالهما الممتد أشارا برأسَيهما موافقَين ... فأعطتهما الكمامتَين ... وقادهما «عثمان» إلى غرفة لمحها في آخر المخزن ... وهناك كان تأثير القنبلة ضعيفًا، فأدارا جهاز

التكييف ... وأصبح جو الغرفة صالحًا لأن يتحادثوا ... فتدفَّق بقية الشياطين على الغرفة، وبعدها أغلقوا بابها ... وبدءوا يستجوبون الرجلَين ... فقال «عثمان» لأحدهما: هل أنت مصري؟

الرجل: نعم ...

فنظر إلى الرجل الثاني وسأله نفس السؤال فأجابه قائلًا: لا ... أنا روسي ...

وسألته «إلهام» سؤالًا مباشرًا لتُعجِّل من إنهاء هذه المهمة ... فقالت له: هل أنت عضوا في تنظيم؟

فأجاب الرجل في عربية ركيكة: لا أنا تاجر سلاح.

خالد: ومن الذي أنشأ هذا المخزن وهذا النفق؟

الرجل: التاجر المصري ... ونحن عاوناه ...

ريما: ومن هو التاجر المصري؟

الرجل: لا أعرفه.

وفي سؤال مباغت ... قالت له «إلهام»: أين الغواصة؟

اضطرب الرجل وكاد أن يُجيبها، غير أنه تراجع عندما نظر للرجل الآخر ... وكان لدى «عثمان» سؤال مباشر وحيوي، فقال لهما: هل يمكنني الخروج من هنا في أمان؟

اندفع الرجلان يقولان له في لهفة: نعم ... نعم ...

شعر «عثمان» أنهما يورِّطانه ... وأن الغواصة ما زالت تقف بالقرب من مدخل النفق ... قال لهما: ستخرجان أمامي ... وإذا وجدت عكس ما تقولان ... ستموتان.

وافق الرجلان على الخروج، ومن خلفهما سار «عثمان» و«خالد» و«رشيد»، وبقي بقية الشياطين ليتفقَّدوا المخزن.

وبعد عدة دقائق ... انطلقت رصاصتان من خارج النفق ... أعادت الجميع إلى الداخل مرةً أخرى ... فصاح «عثمان» يوبِّخه قائلًا: ستموت أيها الخائن الحقير.

إلا أن «خالد» قال له: لا تظلمه يا «عثمان»؛ فالذي أطلق الرصاصات هو «قيس» ... أنسيت أنه يحرسنا مع «بو عمير» و «هدى».

لم يقتنع «عثمان» وقال له: ولماذا يكونون هم ولا يكونون رجال العصابة؟

وهنا تدخَّل «رشيد» قائلًا: لأننا لم نسمع من يبادلهم إطلاق النار ...

وكانت الوسيلة الأيسر والأضمن للتأكد من الاتصال عبر ساعة اليد بالزملاء خارج النفق ... فعرفوا منهما أن الغواصة غادرت المكان وكذلك الدلافين ... فخرجوا جميعًا

... يسبقهم الرجلان المقبوض عليهما ... وكانت فرحة الانتصار جميلةً لا ينقصها سوى «أحمد»، وإنهاء الموقف المتأزم على المركب، وقد قام «عثمان» بالاتصال به، وأبلغه بما حقَّقوه من اقتحام النفق والمخزن والقبض على رجال العصابة ... وقتل بعضهم.

وكان الرجل المُسلَّح سارقُ النقود ... يتابع ملامح «أحمد» وهو يتلقَّى الاتصال، وأخيرًا قال له: الآن سأطلق سراحكم ... وسأحتفظ معي بسيادة الضابط إلى أن أخرج من المياه الإقليمية ولا يكون لكما حق القبض علي ... سأُطلق سراحه فورًا ... فسأله «أحمد» في انزعاج قائلًا: تطلق سراحه أين؟ في المياه!

منذر: أعدك أن يصلك سالمًا ... فلدي قارب صغير على المركب سأهديه له مقابل النقود التي حصلت عليها منكم.

وبإشارة خفية من عينه أخرج رجل آخر سلاحًا كان يخفيه وألصقه بظهر المقدِّم «حسام» الذي احتفظ بابتسامته وهدوئه.

وبإشارة أخرى أخرج ثالث مسدسًا آخر ألصقه بمؤخرة رأس الريس «علي شرابي» وقاده إلى حافة المركب ... فصاح «منذر» يقول: ماذا ستفعل يا غبي؟ ... هذا الرجل لي أنا.

فتركه الرجل وعاد ليستبدله بـ «أحمد» فوجدها الأخير فرصةً له ... فأطاح بهما سويًّا بضربة قدم واحدة ... وفي الوقت الذي أمسك فيه الرائد «محمود» برسغ حارسه، أداره دورةً كسرت عظام ذراعه، وعلا صراخ الرجل وهو مكدوم على سطح المركب ... وأصبحت المسدسات الثلاثة في أيدي الرجال الثلاثة؛ «أحمد» والرائد «محمود» والريس «علي» الذي قاد المركب حتى عادوا إلى «البُرلس» مرةً أخرى، وكانت هناك بالميناء فرقة من القوات الخاصة قام «عثمان» باستدعائها ... قامت فاقتياد كل رجال العصابة إلى نقطة البوليس تمهيدًا لترحيلهم إلى سراي النيابة.

وهذه المرة أرسل رقم «صفر» للشياطين يخبرهم بنهاية المهمة بنجاح عبقري.

هنـــداوي